

الفصل الثاني

المنظر الأول

("في القصة أيضًا.. جزء من شارع ضيق متدرج.. على يساره جدران متهدمة وخرائب.. بيت بوحرید يملأ يمين المسرح.. البيت من طابقين: الطابق الأول منه في مستوى آخر درج من الشارع.. مدخل بيت مصطفى بوحرید في الصدر يفضي إلى بهو ضيق به سلم.. السلم يقود إلى حجرة فسيحة بها شرفة في الصدر ولها بابان من اليمين.. عندما يفتح باب الشرفة الواسع يبدو الأفق والجبال من بعيد.. والسماء.. وقلعة برباروسة بأبراجها العتيقة جائئة كشبح رهيب!. الوقت مساء... الشارع يكاد يكون مظلمًا.. جميلة على مكتبها في الحجرة والشرفة من أمامها تغمرها حمرة الأصيل، وعلى المكتب كتب كثيرة وحقيبة مدرسية.. والحجرة من الطراز الأندلسي متواضعة الأثاث.. وآنية الزهور قد نسقت فيها بعناية... جميلة تضع رأسها في يديها في حزن شديد!)

جميلة : أنا لا أرى ضوء النهار

أنا لا أرى إلا الدخان، ولست أسمع غير أصوات انفجار

وغير ترجيع الأنين! وارحمتا لك يا أمينة

إنني لأعجب كيف مت!

(صمت.. ثم تنفض كأنها تكلم خيالاً)

لِمَ جئت بعد بداية الدرس؟ اشرحي لي أين كنت؟

لا. كيف هذا!! كانت كعملاق بطل!

لا... لا، محال أن تموتي يا أمينة مثل هذا

دخلت إلينا بعد ذلك الانفجار

ومدرس التاريخ يهذي عن بطولة بونا برت
والطالبات أمامنا ووراءنا يهزأن بالدرس الممل
وامتد كف أمينة لتهزني وكأنما يدها تقول
وبعينها ومض هزيل!
وشعرت فوق ملابسي بدم.. أجل، دمها النيل
دمها؟ أجل دمها يسيل على الكتب
وسألتها ماذا دهاك؟ فلم تجب! ماتت على درجي! أجل!
(تتحرك في ضيق متجهة إلى الشرفة والأفق يغمره غسق أحمر
فاجع الشحوب)

ما بال ألوان المساء هناك تصبغها الدماء
والريح مثقلة بمأساة الحياة، وكل شيء محتق
أسفاه! قد سقطت وفي نظراتها وهج سيشرق
وبيريركلها بكعب حذائه والرعب يعتصر الجميع
ودماؤها تنساب في خيط رفيع ويمثل لمح البرق مالت
وتجرت أنبوبة السم الصغيرة ثم قالت:
لا تتركوا أحداً يساق إلى سجن برباروسه
ولديه سرٌّ ما من الأسرار
فهناك حكم العار! والتعذيب، والموت البطيء بغير رحمة
والانتحار أعز للإنسان من أن يسجنه
ماتت وفوق شفاها اختلج الهتاف: تحيا الجزائر
(تدخل إلى الشرفة وعيناها على سجن برباروسة تماماً)
وارحمنا لك يا أمينه! أواه.. أنفاسي ثقيله

(منفجرة)

لَمْ لَا تصيح الأرض في وجه المظالم والمجازر
لَمْ لَا يصير تموج النسمات كالضربات في وجه الطغاه؟
لَمْ لَا يزال الليل يسطع بالنجوم على الجزائر
لَمْ لَا يزال الزهر يذكو هاهنا في حجرتي؟
عاد الربيع فما الذي يرجو الربيع؟
مازال زهر الأرض يطفو فوق أمواج الدموع!
والشمس تشرق رغم مأساة الحياة ولا تبالى!
أواه، قد زحف الظلام، وليلتي أَتَتْ كثاكلة الليالي
(كأنها تصرخ ونظرها متجه إلى قلعة بربروسة)
لَمْ ذَلِكَ السجن الرهيب يصدُّ سر الليل عني؟
لا تدن مني!
يا سجن بربروسة فلتحجب عن ناظري
لا شيء مثلك يستثير خواطري
في حيثما أمشي، هنالك في الطريق، وحين أفتح نافذة
أنا لا أرى إلا قلاعك كالمسوخ الشائعات!
لا تدن مني، لا شيء مثلك يستثير خواطري
يا أيها الحجر المهين
من أي أحجار الجحيم صنعت، ثم وقفت مرتفعاً على أشلائنا
مستهزئاً بصراخنا ودموعنا!
وبكل ما امتلك الفؤاد من المنى، ومن الضنى؟



(كأنها تقذفه بكل جسدها)

ليطح بك الطوفان ليشربك البركان

فلتحقك صاعقة يؤججها لظى أنفاسنا

واللاعج المكظوم في أعماقنا والشارد الملتاع من أحلامنا

(تتهاوى في حالة انهيار، بينما يسود الحجرة ظلام المغرب وفي الطريق من الخارج يتضح وجه هارون الذي دخل الشارع منذ لحظة مع بيير.. ثم يظهر أحمد المصري وعندما يكتشف وجود هارون من وراء إحدى الخرائب مع الضابط يتراجع، ويقف متسمعا.. بعيدا عنهما وراء أحد الجدران المتهمة..)

هارون : في ذلك البيت المهدم، هل ترى البيت المهدم؟

بيير : لو كنت تكذب سوف تفصل ثم تسجن، ثم تعدم

هارون : أنا في الصباح رأيته يمشي وراء الكوميساريا وأنت أمينة وكأنها تلقاه صدفة

ومضيت نحوهما وكدت أناله لولا مفاجأتي بذلك الانفجار ورأيتهما تمضي بعيدا في اتجاه المدرسة أما الشقي، فقد هرب!

بيير : أتقول في هذا المكان تجمعوا؟

هارون : خلف الجدار! حاصروهم مما وراء المسجد

فهناك سرداب قديم يهرب الثوار منه!

بيير : سأعود بعد هنية برجالنا

هارون : أو لا يفتش سيدي هذا المكان؟

فلقد يكون هناك من يسمعون

بـبير : (وهو ينصرف)

أَلَدَيَّ وقت كي أضيعه على شك الجواسيس المبالغ فيه ؟
(ينصرف)

هارون : أنا لست جاسوساً كما قلنا ولكني مواطن
أنا أخدم الوطن الكبير الأم..

(أحمد المصري ينقض عليه من ظهره ومعه خنجره ، فيحاول
هارون الصراخ ، ولكن أحمد يكمم فمه)

أحمد : خائن !

(هارون يحاول أن يصرخ ، فيقترب أحمد المصري بالخنجر إلى
قلب هارون)

أحمد : هارون... جرب أن تصيح

هارون : أخي

أحمد : امض من هذا الطريق

هارون : ماذا ستصنع يا صديقي ؟

أحمد : هل لجاسوس صديق !

(يختفيان وراء جدار مهدم آخر غير الذي كان يقف أمامه هارون
وببير منذ لحظة.. بينما مصطفى بوحرير يدخل غرفة بيته حيث
انكفأت جميلة في الظلام على مكتبها.. مصطفى لا يرتدي ملابسه
كاملة)

مصطفى : (لنفسه وهو يتأمل جميلة)

ماذا... أنقرأ في الظلام !

جميلة : (كانها تئن)

لم لم يعد يتواثب العصفور في أرج الخميلة؟

لم تسحق الزهرات أقدامً معربة ثقيله؟!

لم خضرة الزيتون قد غاضت

ولم تعد الحياة سوى اصفرار كالعدم؟

تية يئن به الندم

لم هذه الدنيا تئن كأنها قلب معذب!

لم كل شيء باهت حولي ، ومذنب؟؟

(مصطفى يضيء النور)

مصطفى : يا جميله

جميلة : عمي..أأنت أضأت هذا النور؟

مصطفى : ماذا يا ابنتي ؟ لم أنت شارد؟

جميلة : أنا...؟

(يمسك كتابها وينظر فيه)

مصطفى : أنا لست أعرف كيف أقرأ ، إنما من ساعه

وأنا أراك أمام نفس الصفحة إنني لأعرفها بتلك الصورة

(يضحك في طيبة)

جميلة : تتشابه الصفحات يا عمي كأيامي تمامًا؟

مصطفى : ماذا عساك قرأت في صفحاتك المتشابهات؟

جميلة : قصص الشقاء

مصطفى : مازلت أصغر يا ابنتي من مثل هذا الحزن!

- جميلة : أنا لست أصغر من كثيرات سمون على الحياة
مصطفى : حقاً!
- جميلة : في مثل سني يسقط الآلاف من شهدائنا
وعلى الشفاه ، مع الدم المسفوك رن هتافهم تحيا الجزائر
(تبكي بصوت مختنق)
- مصطفى : لا لا . امسحي عينيك
- جميلة : عمي ، لماذا آثرت أن تنتحر؟
- مصطفى : هذا قضاء الله في بعض المواقف يا ابنتي
يختار بعض الناس صمت الموت
- جميلة : عمي.. لماذا اخترت أنت تلك الحياة الساكنة
متحصنا بالصمت خلف جدار حكمتك الوقور المدعنة
أو لا تبالي بالذي يجري هنا؟
- مصطفى : لا تشغلي بسوى دروسك يا ابنتي
- جميلة : أعلمت ما قالت أمينة لي ونظرتها الحبيبة تنظفني؟
مازال في أذني صدى من همسها:
قولي لهم ! فلمن أقول؟
- مصطفى : (باهتمام خاص) قولي لهم ماذا؟
- جميلة : لمن - ويحي - أقول رسالتي؟!
(ولد صغير هو : سرحان شقيق جميلة يأتي من الداخل من
الباب الجانبي ، ويتجه إلى مصطفى بوحريد)

سرحان : (يصرخ)

ساح الماء من المغطس يا عمي فلتدخل فوراً
فلقد أقفلت الصنبورُ وفتحت البالوعة

مصطفى : اذهب يا سرحان وسد البالوعة

سرحان : طيب

(يخرج)

مصطفى : سأجيء وراءك للحمام

جميلة : أهذا ما يعينك الآن؟ الحمام!

أفلا تعينك رسالتها؟!

وهجوم البوليس القاسي يعث في بيت أمينة
والقبض على أم أمينة وأخيها..؟

مصطفى : (متحرجاً) حبك حبك يا مجنونة

فالجدران لها آذان

جميلة : (مستمرة) وتهجُّمُهم في كل مكان

ودم الشهداء يسيل هنا وهناك.. ألا يعينك؟

مصطفى : لم تُشغلين بغير الدرس؟

جميلة : أو أنت تعلمني هذا؟ أو أنت؟

مصطفى : ضعي عينيك على دفتري ولوذي الساعة بالصمت فلتشغلي
بكتابك

(جميلة تقذف الكتاب وهي تصرخ)

جميلة : في تلك الصفحات السود يُلفق تاريخ الإنسان

هي سخرية بي وبعقلي وبوطني وبوجداني

في تلك الكتب المسمومة! المفتريات المشثومة

عن وطني العربي الباسل! لن أقرأها، سأمزقها سأمزقها؛
وسأحرقها!

(ترمي بالكتب كلها وتركلها، بينما مصطفى بوحريد يريد أن
يمنعها)

مصطفى : أجننت؟ ماذا تفعلين؟

إن الجزائر يا ابنتي في حاجة إلى مثقفين

جميلة : إن الثقافة زيفت في هذه الكتب اللعينة

أنا لا أرى وطني الجزائر هاهنا

في صفحة منها، ولا في منزلي

مصطفى : في منزلك؟

جميلة : أترى، أتى الزمن الذي لابد لي فيه من استنفار مثلك

أنت الذي علمتني مع أول الكلمات ألفاظ النضال

مصطفى : ما بال طفلي الصغيرة نائرة!

ما بال قِطَتي الوديدة أصبحت مثل النمر الكاسرة

جميلة : أنا لست قطتك الوديدة بعد، فاتركني لحالي

مصطفى : لا تصرخي فسيسمع الجيران صوتك

جميلة : أنا لا أبالي سأظل أصرخ ثم أصرخ كي أحرك نخوتك

وأثير فيك عروبتك قم يا رجل

أطلق صراخ الاحتجاج على الأقل
ما كل هذا الصمت.. هل هرب الدم العربي منك؟

مصطفى : أجتت؟ كيف تخاطبين اليوم عمك هكذا؟!

جميلة : دعني..

مصطفى : وكيف توجهين إلى الذي رباك ألفاظاً كتلك

جميلة : أنا أكرهك

(يرتطم جسم بأرض الشرفة، ويدخل جاسر من باب
الشرفة المفتوح مندفعاً إلى مصطفى بوحريد ويمك به.
سرحان شقيق جميلة يأتي من الداخل على صوت الارتطام
وصراخ أخته)

مصطفى : من؟ جاسر!! يا مرحبا بك!

جميلة : "مأخوذة" أنت جاسر؟!

مصطفى : اجلس هنا

جميلة : (مضطربة) عمي.. فأنت إذا...

جاسر : (يقاطعها بحسم كأنه يطردها) جميله

مصطفى : ادخلي

جاسر : وخذي أخاك

سرحان : من أين يعرفنا؟

جميلة : (في زهو كطفلة) هو ليس يعرف غير اسمي

سرحان : (هامساً لأخته) واسمي كذلك انظري

(سرحان يتقدم متجهاً إلى جاسر الذي يضيق بوجودهما
الآن)

سرحان : أترك تعرفني؟

جاسر : (بسماحة وصبر) أجل سرحان.. سرحان البطل

سرحان : (لأخته فخوراً): أرايت؟ سرحان البطل

(يضحك جاسر وهو يتأمل فرح سرحان)

جميلة : (لنفسها) ماذا؟ أضحك جاسر..؟

سرحان : (بدهشة لأخته)، أرايت جاسر وهو يضحك؟

أو مثل هذا الفارس المغوار يضحك!

جاسر : (بحسم مفاجئ لجميلة وسرحان) لمَ تبقيان؟

لتركانا الآن

(جميلة تتجه إلى السلم.. ووراءها أخوها سرحان الذي يقطف
زهرة من آنية الزهور)

جميلة : (لسرحان في غضب) سرحان لا تقطف زهوري

سرحان : (وهما يمشيان) قد تعبنا من زهورك

(سرحان يعبث بالزهرة)

جميلة : لمَ تحق الزهر الرقيق؟!

سرحان : لو كنت تهتمين باستذكار شيء من دروسك

مثل اهتمامك بالزهور!! قد كان عمي يضربك لتذاكري..

وأنا سمعتك تصرخين

(جميلة تسكه بيدها)

- مصطفى : قد كنت في قلق عليك..
- جاسر : أنا كذلك.. كنت في قلق حزين!
- أعرفت يا بوحريد، في القصة خيانه؟
- مصطفى : ماذا تقول؟ وكيف هذا؟ كيف؟ قل! يا للمهانة!
- جاسر : قد طوقونا في بداية الاجتماع
- مصطفى : في مخبئك!؟
- جاسر : فهربت عبر السطح ثم زحفت من سطح لآخر حتى هبطت بشرفتك
- مصطفى : من يا ترى الجاسوس؟! من ذا قادهم إلى مكان جاسر؟
- جاسر : أنا لست أعرف من يكون
- (جميلة تندفع إلى السلم من الطابق الأول)
- جميلة : (مندفعة) هارون
- سرحان : (في غضب) كيف سمعت ما كنا نقول؟
- بأي حق تسمعين؟
- جميلة : (مترددة بين الصعود والهبوط)
- لكن أمينة وهي في النزاع الأخير مالت عليّ
- وطالبتني أن أقول بأن هارون الشقي، هو العميل
- جاسر : (باهتمام) ماذا.. تعالي
- جميلة : (تكمل وهي تصعد)
- فلقد رأها ثم طاردها صباح اليوم عند الكوميساريا

والحق أنني لم أكن أدري لمن سأقول هذا كله
ما كنت أعرف قبل يا عماء أنك..
(تضطرب فتلوذ بعمها وترمي رأسها على كتفه)

مصطفى : يا ابنتي

جميلة : أنا أهينك أنت يا من كنت لي منذ الطفولة...

جاسر : (مقاطعاً) لا ! لا دموع الآن ليس لدي وقت للدموع أترأهم
قبضوا على أحد هناك؟

مصطفى : أجل. على أم الشهيد

جاسر : لكنها لا تعرف التنظيم

مصطفى : لا بالطبع ، وهي كذاك ثابتة العقيدة

جاسر : أترأهم قبضوا على أحد سواها

جميلة : على أخيها

(ثم يستدير جاسر فجأة ، وتعاوده لهجته الحاسمة)

جاسر : والآن نحن محاصرون هنا فكيف نجثنا الأخبار؟
ثم... هناك موعد شعبك

مصطفى : هو بعد ثلثي ساعة في مخبئك

جاسر : قد يذهب الزملاء لي في مخبئي وعلى مداخله جنود

مصطفى : أنا ذاهب لأرى وأرسلهم إليك هنا

سألحقهم جميعاً في البيوت

جاسر : أسرع ، فقد يفد الصحاب إلى هناك مبكرين!

مصطفى : حسناً ، سأمضي هكذا.. هاتي العباءة يا ابنتي

(تدخل)

جاسر : اذهب إلى عزام وعمار.. وأما هند فليذهب إليها عمار

يا مصطفى ، عجل بربك

(جميلة تعود بالعباءة فإلتفت بها فوق ملابسه ويهبط

السلم)

مصطفى : السلام..

جاسر : اذهب.. ترافقك السلامه

مصطفى : لا تفتحي إلا إذا استوثقت ممن يقرع الباب

جميلة : اطمئن

لتعد مُعافى.. في أمان الله يا عمي

(يفتح باب البيت ويخرج ويغلقه وراءه)

سرحان : إذا هو أنت جاسر؟ إن رأسك غالية

جاسر : (لنفسه) ليعد لنا بوحريد منصوراً سليماً بالصحاب

فعلى الطريق وراء هذا الصمت عربدت الذئاب

الليل يحكمه الجنون!

جميلة : (تقترب من جاسر) كانت أمينة لي أعز صديقه

لكنني ما كنت أعلم أنها في جبهة التحرير

جاسر : أعرف

جميلة : عاشت مروعة الحياة يتيمة حتى إذا حم القضاء

ماتت شهيداً!

(تدمع عيناها وسرحان يخرج)

- جاسر : (يواجه جميلة بصلافة) لا يا جميله
 إن ما نحتاجه ليس الدموع ، بل الدماء
 لا تطفئي لهب الإرادة بالبكاء
- جميلة : أما أنا فأظل أبكيها إلى يوم النشور
- جاسر : الدمع يطفئ شعلة الحقد المقدس في الصدور
- جميلة : لأنك البطل الجسور فأنت تحتقر الدموع؟
- جاسر : أنا لست أحتقر الدموع فإنها
 هي أصدق الأشياء في الإنسان ، لكن...
 (يصرخ فيها فجأة وهو يغالب أزمة دموع)
 يا طفلي الحمقاء
- جميلة : أنا لست حمقاء ، ولست بطفلك
- جاسر : أغضبت؟ معذرة ، ولكني أجلك من قديم!
 هي حدثني عنك كم كانت أمانة تمدحك
 وأنا أجلك منذ قصت لي حكايتك الشهيرة في فناء المدرسة
 لما جمعت تبرعات من أجل أطفال الضحايا
 وأتى المدير مهدداً فطلبت منه تبرعاً
 (يدخل سرحان ويتجه إلى جميلة مندفعاً)
- سرحان : نسي البطاقة عمنا
- جميلة : عجباً ، وأين هي البطاقة؟
- سرحان : هي ذي

- جميلة : (تفحص البطاقة) ما بالها ابتلت !
- سرحان : كانت وحافضة النقود بثوبه المخلوع في الحمام
- جميلة : ويحي وكيف إذا سندرکه بها؟
- جاسر : هو لن يغيب
- سرحان : أیكون راح إلى بعيد؟
- جميلة : وارحمته له وكيف يسير من غير البطاقة في الطريق !
- سرحان : فلتعطني تلك البطاقة سوف أرجعها إلى الحمام
- جميلة : اذهب وضع البطاقة حيث كانت
- سرحان : (وهو ينصرف بالبطاقة) جنب حافضة النقود
- جاسر : (يكمل لها) إني أجلك من قديم
- ولطالما قالت أمينة عنك أشياء تثير الكبرياء
- وشعرت بالزهو العميق لأن في فتياتنا هذا الإباء
- جميلة : (باهتمام وزهو) حقاً؟ أحقُّ ما تقول؟
- جاسر : ولكم روت عنك الشهيدة
- جميلة : يا ليتنا عشنا على جنح السكينة يا أمينة، في السلام!
- جاسر : لكنه المقدور
- جميلة : (بمرارة) من قدرَ العداة؟!
- جاسر : من يشعل النيران في الزيتونہ الخضراء والكرم النضير
- من يغرس السكين في قلب يغرد للسلام
- من يزرعون الشوك في روح الصغار، ويحصدون الانتقام!

جميلة : أنا في فؤادي ذلك الشوك الذي يُدْمي الفؤاد

جاسر : الشوك في قلب البلاد

جميلة : كيف الطريق إلى الخلاص؟ ألا طريق سوى الدماء؟!

جاسر : يا ليت أن الذئب يقنعه الكلام!

جميلة : إنني أحس الخوف أحياناً، أجل، أنا قد أخاف، وإنما أنا رغم ذلك بي اندفاع لست أعرف ما مداه.. فحينما أبصرتهم يتدافعون على أمانة بعدما

وقعت أمامي وهي تنزف بالدماء

أوشكت أن أنقض مثل الغول فوقهم، فما

أبقى لهم أثراً على أرض الجزائر

ووددت لو نبتت بأظفري خناجر

جاسر : فبكيت!

جميلة : إن المرء يبكي حين يعجز

جاسر : بل لن تحسي العجز بعد إنني لأقسم يا جميله!

فالقلب ينضج هاهنا قبل الألوان

جميلة : إذا هو اكتشف الوسيلة!

(ثم منفجرة)

كيف الوسيلة.. كيف أخلص من معاناتي الذليلة!

أرأيت أصفى الأصدقاء يموت بين يديك غيلة؟

أرأيت نظرتة المودعة التي ترجوك وتكاد تصرخ فيك

كيف السبيل إلى القصاص؟

قل لي متى أنضم بين صفوفكم؟

جاسر :

لا تغلقي. فغداً يجيء الوقت!

جميلة :

أنا في الطفولة كنت أحلم أن أكون مجاهده

ورأيت أمي وهي تقتل فوق قبر أبي الشهيد!

فمضيت للجبل الأشم وعلى الطريق، على مشارف قرأتي

قال الكبار لي: ارجعي.. فغداً يجيء الوقت

(طرقات على الباب)

جاسر :

لا تفتحي حتى نرى من يطرق الباب

جميلة :

اطمئن، إني لأعرف من يدق الباب من طرقاته!!

(جميلة تهبط على السلم بثبات وتضيء المستوى الأول من عند

آخر درجة وتوجه إلى الباب الخارجي، وجاسر يتابعها بنظراته وهو

يقول لنفسه)

جاسر :

(لنفسه) طفلة تحلم أن تنضم للجيش!! وفي كل بلد يحلم

الطفل بلعبة أو بأثواب جد

إن في أقوالها شيئاً حقيقياً هو الصدق الجليل

إنها أروع مما كنت أحسب إن في نظرتها نار الغضب

إن في أعماقها الثورة، والحق النبيل

جميلة :

من ذا يدق الباب..

(سرحان يقبل من الشرفة قائلاً في خوف)

سرحان :

أعرفتم من ذا يدق الباب؟ ضابط!

جميلة :

(الجاسر) ابتعد.. ولتختبي في أي ركن

سرحان :

هو ضابط شكل العرب..

جاسر : لا.. بل قفي فأننا سأفتح

جميلة : أنت؟ لا.. فالبيت بيتي

يا جاسر ، ابعد

جاسر : (كقائد) افتحي.. لا تنطقي

(جميلة تفتح الباب وتقف فيه معترضة ، بينما يتحصن جاسر وراء السلم بمدفعه)

جميلة : ماذا تريد؟

الضابط : (مازال في الخارج) أريد جاسر

جميلة : ماذا تقول؟

(الضابط عزام يدفعها ويدخل مطمئناً ويغلق الباب وراءه)

جميلة : من أنت؟. ويحك كيف تدخل دون إذن بالدخول؟!

عزام : (ضاحكاً) يدك الصغيرة لا إنها خلقت تقاوم لا لئلا تم!

(يتقدم ، فتنتزع آنية كبيرة من فخار من البهو وتحاول أن تهوي بها على رأسه فيتقدم جاسر مسرعاً)

جاسر : لا يا جميلة! مرحباً عزام!

عزام : أهلاً.. ألف مرحب..

جميلة : (كالمأخوذة) أو أنت أيضاً منهم؟

سرحان : (ضاحكاً) قد كاد يضرب

عزام : بل كدت أقتل؟!

كم يحتوي هذا الكيان - على الهزال - من الشجاعة
والبسالة!

(سرحان يعود إلى الشرفة ويختفي بداخلها)

جاسر : ألدك أخبار؟

عزام : أجل ، تلك الرسالة (يناولها ورقة) جاءت إلي من الجبل

عمار : ماذا بها عزام؟

عزام : إن الباخرة تسري بأنواع السلاح جميعه

وبها ضمادات وأغطية وأطعمة كثيره

وبها قنابل ناسف ومفرقات

جاسر : (يقرأ في الرسالة) تركت حدود سواحل البلد الصديق مساء أمس الأول..

جميلة : "لنفسها" ما ذلك البلد الصديق؟ أمصر يعني؟!

جاسر : (مشيراً إليها بالانصراف) تسمحين؟

لم يأت بعد الوقت كي تقفي هنا

عزام : (ضاحكاً) سيجيء هذا الوقت بعد دقيقة.. فقفى هناك!

(جميلة تنزل السلم وتقعّد في البهو والحديث مستمر)

جاسر : لابد من ترتيب تفريغ الحمولة في أمان

حتى نرتب نقلها إلى مجاهديننا في الجبل

عزام : ومتى تصل؟

جاسر : ستكون عند الشاطئ المهجور بعد غد مساء

عزام : ماذا تقول؟! أبعد غد؟ من ذا يجيء لنا بهند؟

إذ إنها هي وحدها من بعدما سقطت أمينة - للأسف -

من يستطيع قيادة الفتيات في أمر كهذا..

أم لا استعانة بعد بالفتيات في نقل السلاح؟

جاسر : هذا سننظر فيه حين يعود بوحريد بعمار و هند

عزام : آه.. حين يبدأ الاجتماع!

(في نبرة ساخرة)

لكن شاعرنا العزيز معذب منذ الصباح

جاسر : ماذا يعذب قلب عمار؟! لقد وصل السلاح

والكوميساريا كلها نسفت. وإن فقدت أمانة بعدها

لكنه قدر الكفاح!

ولقد نجحنا اليوم في الإضراب أيضًا، فالمتاجر أضربت..!

عزام : عمار يحسب أنه المسئول عن موت الشهيد!

سرحان : (قادمًا من الشرفة) لا شيء في الطرقات

جاسر : يا سرحان.. انزل عند أختك تحت

سرحان : (بألم) طيب

جميلة : (من تحت) لا بل دعوه هناك يرقب من يجيء

سرحان : (يتراجع إلى الشرفة) نعم فلي عمل هناك

أنا هنالك لست ألعب..

جاسر : (مبتسمًا) حسنًا

جميلة : (من تحت) أأعد شايا؟

عزام : الشاي؟

جاسر : شكراً

عزام : الشاي فوراً

(تتجه إلى السلم وتبدأ صعود درجاته)

جاسر : عزام.. لم تُقتل أمينة من شظايا الانفجار

كما يظن صديقنا عمار! قد كان هارون الشقي وراءها

عزام : حقاً؟! إذاً، ليكف شاعرنا العزيز عن النواح!

جميلة : أتفضلان الشاي بالـ..

جاسر : (مقاطعاً) لا، لا ضرورة بل تعالي أسدلي هذا الستار

وأطفئي النور الكبير!

(يشير إلى ستار الشرفة، جميلة تصل الآن فتطفئ النور الكبير ولا يبقى في المكان غير شعاع خافت.. ثم تذهب وتسدل الستار على الشرفة.. وتدخل من فتحة الستار لتختفي في الشرفة مع أخيها.. وفي الشارع يظهر أحمد المصري من وراء الخرائب يدفع أمامه هارون الذي يكاد يركع أمامه من الذعر)

أحمد : متع فؤادك كيف شئت من المكافأة العظيمة

واذهب إلى سادتك اللثام وقل لهم يا بن اللثيمة :

قطعوا لساني!!

هارون : آ... آ... آ...

أحمد : انقل لهم ما شئت من أخبارنا.

(هارون يكشف عن جلده الذي دمع بكلمة جاسوس، ويحاول

أن يتكلم فيعوي كحيوان)

هارون : آ... آ...

أحمد : في كل جلدك ميسم! أقرأه: جاسوس عظيم!

لم لا تغير جلدك النجس القديم؟

ستظل تمشي في بقاع الأرض تحمل لعتك

حتى تغير حرفتك!

(يتهاى للاختفاء وراء جدار آخر وهو يدفع هارون إلى عرض الطريق)

أحمد : البث هنا حتى يعود بيير.. راعيك الكريم!

(ثم وهو ينصرف إلى ما وراء الخرائب)

يالبث كل خطيئة كانت تسجل مثل تلك على جلود الخاطئين!

وإذا لضاع الشر، وانتصرت فضائلنا علينا بعد حين

ولما وجدنا بعد ذلك خائنين ولا رجالا يكذبون

ولا نساء زانيات، أو خفافيشا تسود

ولا منافق أو حشود ولشاه وجه الحاقدين!

(يسمع صوت جنود فيخفي وراء جدار متهدم)

(بينما تدخل جميلة من الشرفة مندفعة إلى المجتمعين في بيتها في

ذعر واضح)

جميلة : هم قادمون

سرحان : (في مدخل الشرفة) لا.. إنهم وقفوا بعيداً يسألون العابرين

جميلة : الآن نحن محاصرون

(صوت من بعيد هو صوت بيير)

بيير : قل: أين جاسر؟

(سرحان وجميلة وأنظارهما على الطريق وهما في مدخل

الشرفة من فتحة ستارها)

- سرحان : قبضوا على شيخ عجوز وعلى امرأه !
هم يبحثون عن البطاقة في ثياب السيده !
(لنفسه) دع صدرها يا كلب
- جميلة : (لنفسها) هم يبحثون عن البطاقات .. البطاقة !
- جاسر : عزام ، اذهب أنت ! يا عزام ، أسرع أنت لا تفقد دقيقه !
- عزام : عجباً وأنت ..؟
- جاسر : يا عزام ، فلتخرج .. لتسرع قلت لك !
(عزام على السلم ويسرع بالخروج)
- جميلة : الآن ، قل لي ما العمل !
- جاسر : ألدَيْكِ محباً؟ أين محبوكم هنا؟
- جميلة : (مضطربة) أنا لست أعرف إن عمي لم يقل لي أي شيء هو لم يكن ..
- جاسر : (مقاطعاً) لا بأس ، فلأخرج إليهم في الطريق بمفردي !
(متقدماً نحو السلم)
- جميلة : (بذعر) ماذا تقول؟! أأنت تخرج للطريق بمفردي؟!!
- جاسر : لو أنهم قبضوا عليّ هنا لضعت ، وضاع عمك وسيفقد التنظيم بعدُ ثلاثة .. نحن الثلاثة !
- جميلة : نحن الثلاثة؟! أنا انضمت إذاً إلى تنظيمكم؟!!
- أو ذاك حق !
- (جاسر يتقدم بالمدفع الرشاش تحت ثيابه)

جاسر : (مقاطعاً) سأنتلق

جميلة : بل قف...

جاسر : سأحارب الأعداء في عرض الطريق

لن يمسكوا بي والدماء تدب مني في العروق!

(يتقدم إلى السلم)

جميلة : (تعترض طريقه على السلم) لا ! لا تغامر أنت!

كلا ليس أنت! فلو أنهم قتلوك!! لا لا

(جاسر يتخلص منها وهي متشبثة به)

جاسر : إنا لنعرف كيف نفقد واحداً عند الضرورة، فاتركيني..

جميلة : لا ! لن يكون الواحد المفقود أنت! لتخبي في مخدعي

جاسر : فإذا هم عثروا عليّ هناك! كم سيثوّهون كفاحنا الحرّ!

جميلة : انتظر

جاسر : لا تفسدي خططي

جميلة : اكتشفت طريقة. فلتنظر!

جاسر : لا ! لا تضعي الوقت.

(وفي أثناء هذا التدافع يكاد جاسر يصل إلى نهاية السلم فتقف

جميلة أمامه عند آخر درجة تعترض طريقه بكل جسمها،

وذراعاها ممدودتان مستدتان إلى حاجزي السلم كأنما تمنعه

بالقوة...)

جميلة : إنك لن تمر! إني اكتشفت طريقة، فلتنظر!

(عزام يمشي الآن في ثقة ليخرج من القصة فيفاجأ بهارون الذي

يتخبط في الطريق).

عزام : هارون، قف! لتجئ معي فإذا التفت أو اعترضت
فسوف تقذف بالرصاص.

(يخرجان من أحد الدروب، بينما يقبل بعض الضباط من صدر
الطريق يتقدمهم بيير وفريتز)

ضابط : كل المخابي فُتشت يا سيدي الماجور، لكن لم نجد أحدًا هناك

ضابط آخر : هذا صحيح! لا أثر

بيير : وأين هارون اللعين يقودنا إلى مكان جاسر!

أنا قلت للوغد اللئيم أن انتظرنني ها هنا!

مهما يكن فلتبحثوا في كل حجر

هو لم يغادر هذه الكاسبا! اقرعوا أبواب هذا البيت

(يشير إلى بيت مصطفى بوحريد في نداء عسكري للجنود)

سر

(يذهب فريتز مع عدد من الجنود باحثين عن باب بيت بوحريد)

فريتز : (يختفي باحثًا عن الباب ووراء الجند) أنا لست أعرف بابهُ

صوت آخر : هذا بابهُ

بيير : (لضابط آخر) وأنت فتش بين هاتيك الخرائب

(يذهب بيير وراء فريتز)

(الضابط ينظر باشمزاز وخوف في الخرائب)

الضابط : هذا يشير الخوف.. أوه! لا يختفي الإنسان في تلك الخرائب

لا يختفي أحد هنا غير الأفاعي والعقارب

(يمشي مشمئزًا)

أوه! هذي البلاد الأفريقية!

(تسمع قرعات شديدة.. متوالية على باب بو حريد.. تفتح جميلة باب البيت ووراءها سرحان.. النور يغمر البهو وبيير وفريتز يدخلان وراءهما ضباط وجنود. بيير يتقدم فيعترضه سرحان.. بيير يركله.. ثم ينظر إلى جميلة في رقة مصطنعة وكأنه تعرف على وجهها)

بيير : .. لا!! أنت؟! مع من تعيش الفاتنة!!

سرحان : (معتزلاً).. الفاتنة!؟

جميلة : مع مصطفى بو حريد عمي.. والصغير

سرحان : (متحدياً) معي أنا

فريتز : هل جاسر في بيتكم؟! قل لي لنا

بيير : ستكافئين إذا اعترفت

جميلة : وكيف يحيا هاهنا في بيتنا

فريتز : قل يا صغير في أي حائط؟

سرحان : أنت ضابط أنت تعرف

بيير : سنكافئك إن قلت سر الحائط السري

سرحان : (نافراً من بيير) لست أكلمك

فريتز : قل لي أنا

سرحان : الحائط السري؟

فريتز : قل

سرحان : هو

بـيـير : أين؟

سـرحـان : في ألف ليلة! أقرأتها! أسمعت عنها!!

بـيـير : (محنقاً لجميلة) أين عمك؟

جميلة : في مغطس الحمام

بـيـير : أين بطاقته؟

جميلة : هي ذي بطاقته يبللها العرق!!

بـيـير : (يمسك بالبطاقة بطرف إصبعه وهو يتجه ناحية السلم ويصعد مزجراً)

قذرون!! أولاً! قذارة! وأين المغطس الملعون؟

جميلة : (تصعد) من ذاك الممر

بـيـير : (وهو يصعد ومعه فريتز يقول له) سنرى..

(للجنود) وأنتم فتشوا هذا المكان بلا هوادة

قد تعثرون بجاسر الملعون تحت حشية أو خلف باب...

سـرحـان : أو في وساده!!

بـيـير : (مكماً بحسم) أو في جدار لا أو في إناء من فخار لا تركوا شيئاً مكانه

(الجنود يتتشمون في الطابقين جميعاً ويقلبون الدنيا بينما.. جميلة

التي صعدت الآن ومعها أخوها تتجه إلى بيير الذي يقف وسط

الحجرة العليا مع فريتز وضابط)

جميلة : ادخل هناك من الممر، وثم، مل نحو اليمين

ثم اقرع الباب الذي تلقاه مقفولاً بوجهك!

(يدخل بيير في الاتجاه الذي أشارت إليه)

بيير : (من الداخل) يا مصطفى بوحريد.. افتح

جاسر : (من الداخل بصوت متغير) كيف؟

بيير : تفتش

جاسر : أمهلني لألبس

بيير : (زاعقاً) افتح

جاسر : أنا لم أزل عريان

بيير : إذا سأفتح بالمسدس

(يسمع صوت باب يفتح)

جاسر : أنا ذا فتحت

بيير : (حائقاً) اغطسْ

فريتز : (منادياً) يا سيدي ماذا دهاك!

بيير : (يعود مسرعاً) هذا اللعين الوغد يطلع لي كما ولدته أمه!

فريتز : هل كنت ترجو أن تراه هناك في الحمام يرفل في الفراك!

(بيير يرمي البطاقة أمام جميلة وفريتز يضحك)

بيير : هي ذي بطاقته الحقيرة

(جميلة تذهب بعيداً وتنحني لتلتقط البطاقة وبيير يتابعها بنظراته،

بصفة خاصة وهي تنحني، أحد الضباط يتقدم من بيير)

الضابط : يا سيدي الماجور جاسر ليس موجوداً هنا

بيير : (يتقدم ببطء إلى جميلة وهو يلقي عليها نظرات خاصة)

أيكون مختبئاً هنا حيث تختبئ الكنوز الباهرة

(يحاول أن يتحسس صدرها فتقفز جميلة إلى الوراء)

جميلة : (تنهره) يا سيدي!

بيير : إني لتعجبني النهود الثائرة!

(جميلة تقفز للوراء أيضاً حتى تصل إلى حافة الشرفة وهو يتابعها)

وكذاك تجذبني الظباء النافره

(يجري سرحان إلى الداخل)

(فريتز يتقدم من بيير هامساً)

فريتز : لا ! لا !

بيير : (لفريتز) أو لست تصبو أنت أيضاً للنساء المسلمات؟

انظر إليها.. إنها تبدو ككل المسلمات المحصنات

لكننا في عينها شغف بلذات الحياه!

(سرحان يعود مسرعاً وهو يخفي في جلبابه شيئاً ويقف بجوار

أخته)

فريتز : لا يا بيير! هيا! لنذهب

بيير : ماذا؟

فريتز : أتحسب أننا جئنا لهذا؟

بيير : لست أحسب

لكن أراها فرصة والشيخ في حمامه والباب مغلق!

(يتقدم إليها وتلتصق هي بحاجز الشرفة تماماً في رعب هائل)

جميلة : لا

(يقبل سرحان شاهراً سكيناً طويلاً)

- سرحان : فلتحترس ! إني ليعرفني الجميع هنا بسرحان البطل
- بيير : إنما المكين طولك هذا لتقشير البصل
- (جميلة تختطف السكين من أخيها وتشهره للدفاع عن نفسها)
- جميلة : لكنه قد يذبح الخنزير
- سرحان : (ضاحكاً) بل قولي الخروف..
- بيير : بالرغم مما تصنعين وما يبيح لنا دمك فأنا سأمنحك الحياة
وستشكرين بيير يوماً ما على هذا الفضل
(بيير منصرفاً)
- فمتى تردين الجميل لمنقذك ؟
- فريتز : (يتجه إلى السلم) هيا تفضل
- بيير : (يترك بطاقة زيارة على المائدة) في ذلك العنوان بعد السابعة ! من
أي يوم !
- (وينصرف الجنود والضباط.. فريتز وبيير أثناء النزول على السلم
يتحدثان ويستمر الحديث بينهما حتى الباب الخارجي للبيت)
- فريتز : هل أنت مجنون إلى حد التصور أنها ستجيء عندك..
- بيير : غداً ترى.. إن لم تجيئ سأجرها بالرغم منها
أنا عندما نحن احتلنا أرض ألمانيا... أجل
أنا كنت في برلين يوماً..
- فريتز : (بضيق شديد) وانتزعت من النساء كما تشاء
قد قلت هذا ألف مرة !
- لكننا كنا هنالك قد تمرغنا على وحل الهوان من الهزائم والدمار !
كنا انهزمنا تحت حكم الطاغية قبل ابتداء المعركة

أما هنا فهنا المعارك لا يخالجها سوى أمل انتصار!
إذ هم هنا شعب يناضل لاقطيعة ما يساق بلا إرادته..
أفهمت هذا؟ إنه وطن يناضل بالرجال والنساء
وبالصغار والكبار..

بالذكريات بكل آمال الطفولة في السعادة..
وبكل ما في طاقة القلب الأبوي من الإباء
ولكل إنسان هنا حر.. أجل! حر؟ أتفهم!
حر أمام مصيره، وحياته، والآخرين
حر أمام الموت والتاريخ! لكن كيف تفهم أنت هذا؟
(يدفع الباب الخارجي بقدمه ويخرج إلى الشارع وتغلق جميلة
وراءهم الباب)

بيير : (لنفسه في الشارع) هذا الفتى خطر، سأبلغ عنه عند رجوعنا فلقد
يكون وراءه متمردون!

(لفريتز)!! اسمع فريتز، لأنك ما جور هنا لا كي تفكر
بل لتنفيذ الأوامر!!

(يختفون في بعض الدروب بينما يظهر جاسر في البيت وهو يفرغ
من ارتداء ملابسه وهو يحفف رأسه)

جاسر : (ضاحكاً) ما كان أروع كل هذا يا جميله!

سرحان : (بدهشة) قد عاد يضحك! هل أنت تضحك؟

جاسر : أتظنني غولاً؟

جميلة : (بإعجاب) أجل غول على أعدائنا

جاسر : قد كدت أفسد كل شيء عندما أدركت أن بيير ينوي

جميلة : لا ، فما قد كان يمكن أن ينالوني ، وبى رفق

سرحان : (متدخلًا بزهو) وأنا الذي دافعت عنك !

جاسر : أنت سرحان البطل ؟ !

(يضحكون)

جاسر : إني لأشكر للمجاهدة الجديدة أنها قد أنقذتني

جميلة : أنا ؟ لا .. ولكن المصادفة الغربية أنقذتك

سرحان : لو كان غيري في مكاني لانحنى للعاصفة

لكنني أحضرت سكينًا

جاسر : (ضاحكًا) وأنا لهذا أشكرك !

سرحان : لا شكر بين الأصدقاء

جاسر : الأصدقاء ؟ ! وأنا سعيد بالصدقه !

(ضجة في الخارج ، من بعيد جدًا)

جميلة : انظر تصاريق القضاء لو أن عمي كان قد أخذ البطاقة ! لو أنه

لم يملأ الحمام ماء ! لو ..

جاسر : (مقاطعًا) لاكتشفت طريقة أخرى .. فمثلك ليس يُغلب !

(تقترب الضجة وعمار وهند يقبلان وحين يريان الجنود يختبئان في

أحد الخرائب)

عمار : (هامسًا لهند) هند .. تعالي هاهنا . فلنتنظر

مصطفى : (صوته من جهة الصدر) لا .. لا تحاول أن تشد عبايتي

جميلة : (متجهة للشرفة) أسمعت ؟ هذا صوت عمي !

(تزيح جزءاً من الستار)

جاسر : لا ! لا تطلي ، إنهم يتجولون هنا. تعالي

(يطفئ النور ويظلم البيت تماماً ، بينما مصطفى بوحريد يظهر في أقصى المسرح جهة الصدر من على مرتفع وأمامه جنود يملأون المسرح هنا وهناك... الجنود والضباط يستعملون مصابيح كهربائية صغيرة "بطاريات" ليتبينوا وجوه الأشخاص إذ إن نور الشارع هزيل جداً)

الضابط : (لمصطفى) بل أنت جاسر

ضابط آخر : أتظن أنك سوف يحميك التكر؟

جسدي : هو ليس جاسر

الضابط الأول : إن ذنك مستعارة

(يحاول أن يشده من لحيته)

مصطفى : دع لحيتي ، هي لا تمرغ في التراب

ضابط آخر : هي ذقنه حقاً ، فأين بطاقتك؟

(مصطفى يفتش عليها بينما يظهر بيير من ناحية أخرى ومعه

جنود... بيير يعترض امرأة ، وهي أم أمينة ومعها ابنها الصغير)

بيير : أو لست أم أمينة أنت؟!

الطفل : (باكياً) لقد قتلوا أمينة!

بيير : قد كنت في ثكناتنا مسجونة منذ الصباح فمتى هربت؟

أم أمينة : لكنهم قد أفرجوا عنا ، وهاهو أمر إطلاق السراح

بيير : (ياخذ منها الورقة) لم أطلقوك.. وكيف؟! هيا اذهبي

(همساً لضباطه)

هي أم من نسفت صباح اليوم دار الكوميساريا
وقضت على عشرين منا

فتهاوا للانتقام!

(يظهر أحمد المصري ووراء فريتز وجنوده)

أحمد : يا عم ، قل لي ما العبارة ؟!

فريتز : من أنت ؟؟

أحمد : أنا أحمد المصري ، معروف هنا ، في الدرب كله

ضابط : أين بطاقتك ؟

(أحمد يعطيه البطاقة)

أحمد : خذها. وأرجعها إليّ

فريتز : (وهو ينظر في البطاقة) من أين جئت ؟

أحمد : من مصر جئت

أبي أتى من مصر من سبعين عاماً

ضابط : (مقاطعاً) من أين جئت الآن أنت !

أحمد : من عند ربي

فريتز : الشيخ مجذوب كما يبدو

جندي : نعم أنا أعرفه هو صاحب المقهى المجاور

جندي : أرني شواربك

أحمد : هي يا أخي ليست معارة فأنا الذي ربيتها من نصف قرن

الجندي : اذهب إلى بيتك أيها المصري

أحمد : (لمصطفى بوحريد الذي وقف في ركن وهم يفتشونه)

احرس عيونك قبل أن يستل منها النور لص من فرنسا

أغلق مزالج بيتك المفتوح حتى لا يصير البيت رمسا

فريتز : اذهب لبيتك

أحمد : أو لا أكلّمه إذا أو لست جاره!

"فريتز يدفعه بشدة فيختمي في أحد الدروب وراء جدار متهدم"

مصطفى : يا أحمد المصري، ها أنذا أقول: احرس لسانك!

الضابط (لمصطفى) أين البطاقة؟

مصطفى : أنا لست أعرف أين راحت

ضابط : وإذا، فإنك أنت جاسر

أم أمينة : (من ناحية أخرى لبيير) يا سيدي، أنا ليس في جيبى بطاقة

فأعد إليّ الأمر بالإفراج حتى أظهره للسائلين فإنكم تتجولون!

بيير : أنا قلت: سيري

أم أمينة : كيف؟! الأمر لله

(تمشي أم أمينة ومعها الصغير)

بيير : اتبعوها فلتقتلوا الولد الصغير أمامها ثم اقتلوها

فريتز : (لمصطفى) اذهب.. وحاذر أن تسير بلا بطاقة!

سر من هنا

(مصطفى وهو يمشي بعيداً يعترضه بيير)

بـيـير : قف يا رجل لم أنت في وقت كهذا لم تنزل في الشارع من بعد ما
مُنِعَ التجول!

مصطفى : بل ما يزال هناك ساعة ! وأنا هنا بالقرب من بيتي

بـيـير : وما اسمك؟!

مصطفى : اسمي؟ أنا..

(ولا يكمل إذ يفاجأ بطلقتي رصاص على أم أمينة
والصغير)

مصطفى : (صارخاً) لمَ تقتلونهما؟!

بـيـير : أتسألني؟!

مصطفى : أجل.. لمَ يا وحوش؟.. لمَ تملأون الليل بالدم؟

(بدأ الناس يظهرون من الدروب على صوت الرصاص وأصواتهم
تختلط)

أصوات هي أسرة فنيـت جميعاً قتلوا الثلاثة في نهار واحد!!

بـيـير : (يدفع مصطفى بمسدسه) سر من هنا! أنا قلت سر!

مصطفى : أنا ذا أسير، فأين أذهب؟

بـيـير : (يحاول أن يدفعه) اذهب إلى جاسر أترك تجهل أين جاسر؟

مصطفى : (يتوقف) أنا سوف أبقى في مكاني هكذا حتى الصباح

بـيـير : أنا قلت سر

(مصطفى الآن في أعلى مرتفع من الشارع)

مصطفى : لكنني

بـيـير : لا تستدر

(يقف مصطفى وظهره إليهم بيير يطلق عليه الرصاص ، بينما يظهر أحمد المصري من أحد الأركان ، وتظهر هند وعمار بين الخرائب ومعهما بعض الرجال والأطفال والنساء.. جميلة تصرخ من الداخل وتحاول أن تندفع فيمنعها جاسر)

جميلة : (من داخل البيت): عماء... عمي..!

أحمد : (مندفعًا) يا أيها السفاح

عمار : (من مخبئه يمسك بأحمد) يا أحمد المصري! لا! فيقتلونك أنت أيضاً

مصطفى (وهو يسقط) أتظن هذا الشر سوف يفيدكم!

بوحريد : لا! إنما تغتالكم تلك الشرور

ضابط : هل أنت حي ما تزال؟ مت! استرح!

(يطلق عليه مرة أخرى فيندحرج على الأرض حتى يسقط وراء المسرح من أقصى مرتفع ويختفي جثمانه تمامًا.. وهو يلقي آخر كلامه)

مصطفى : أنا مصطفى بوحريد.. بوحريد يقول لكم يقول: تحيا الجزائر! العار إن لم تنتقم

(جميلة مازالت تحاول أن تندفع إلى باب بيتها في الظلام في جزع شديد)

جميلة : عماء! عمي

جاسر : (يعترضها) ارجعي فقتلين

جميلة : (صارخة) لنت جموعًا ما يهم!

جاسر : بل اهديني... فلسوف نأخذ ثأرنا منهم بألف!

- جميلة : (وهي تحاول التخلص منه) إن مات ألف هل يعود؟!
- جاسر : (يمنعها بالقوة) وأنت أيضاً لن تعودى إن خرجت..
- جميلة : (صراخ مروع) ويلاه!! دعني
واختبئي كالفأر وحدك هاهنا.. عماء.. عمي!
- جاسر : اسكتي.. لا تصرخي!
- (يمنعها بالقوة من أن تنزل ومن الخارج تحاول هند أن تندفع من
مخبئتها بين الخرائب. فيمسك بها عمار)
- هند : هل تحكم الفوضى؟!
- عمار : هند، اثبتي فيقتلونك لا تركي الغيظ المعذب يستفرك
(سرحان يجري مندفعاً إلى الشارع وبيده سكين يطعن بها ظهر
الضابط الذي ضرب عمه آخر طلقة. فيقع الضابط بعيداً)
- سرحان : عماء.... عمي
- ضابط : (يطلق النار على سرحان) يا أيها الفأر الصغير!
- (بيير يتخذ موقف القيادة الآن ويبدأ في توجيه القوات)
- بيير : فلتكتوهم بالمدافع.. اضرب هناك..
- يا أيها الجبناء، قوموا من جحوركم، تعالوا واجهونا
يا أيها الفيران قوموا سندمر الكاسبا عليكم
- فريتز : لا يا بيير، كفى كفى هذا كثير هذا جنون! هل جنتت؟
(أصوات طلقات من كل الدروب. رجل عجوز يظهر من حيث
سقط بوحريد)

بــــير : (لفريتز) اهرب إذا ما شئت أنت!

فريتــــز : آه لو أني استطعت!

نحن سفاحون مأجورون بل محترفون! نحن في هذا اللفيف الأجنبي
عار هذا العصر حقاً! وبقايا من عصور الهمجية!

بــــير : (لفريتز) أنا قلت اضرب.. (ويشرع مسدسه)

الرجل : ما كل هذا يا بني.. ألا تخاف الله..

بــــير : (يضره) خفه فقد يصونك!

الرجل : (وهو يسقط) فليعيش وطني الجزائر

بــــير : (لفريتز أمراً) قف هاهنا... اضرب!. لتضرب!

(بعض الأولاد الذين ظهرُوا في الفصل الأول يظهرُونَ الآن...
مارين بأحمد وعمار وهند الذين اختبأُوا وراء جدران ومعهم
بعض رجال ونساء... النار تتلقى الأولاد)

فريتــــز : (مرتكناً إلى حائط معذباً)

قد كذبوا باسمك يا ربي الناس تموت بلا سبب
والأرض تفيض عليها النار

فلماذا ترك هذا الشر يزول إيمان الأخيار؟

ولــــد : (للرجال المختبئين) لمَ تحتفون؟ ألا شجاع منكم؟

عمار : الشجاع اليوم من يملك رأيه

وفروا هذا الدم الغالي ليوم الانتقام

(يظهر رجل آخر من أحد الدروب وعمار يمنع المختبئين من
الاندفاع)

- الرجل : لم تشعلون النار في القلب الأمين؟
- ضابط : (يضربه) وما يهمك
- امرأة : (تنفلت) اتركوني.. إنه يقتل زوجي
- امرأة أخرى : ووحيدي
- بيير : أين جاسر؟
- امرأة : يا وحوش
- بيير : (ويضرب المرأتين) لا تصيحي.. أنت أيضاً لا تصيحي فلتموتي معه.. فلتتريحي
- (يتجول كقائد مظفر في ميدان معركة، ثم يعود ليقف على المرتفع الذي في صدر المسرح)
- فريتز : (صارخاً) لم كل هذا يا بيير.. كفى.. كفى
- بيير : اضرب الآن... تقدم أيها المرتزق الخائر واضرب! إنهم لن يرحموك الآن، فاضرب
- أنت إن لم تطلق الآن عليهم ستحاكم وستعدم!
- (فريتز يضرب وهو مغمض العينين)
- رجل من المخبا : لم يا أحمد تجبن! أنت يا عمار خائف
- (ثم يندفع بخنجره ليضرب ضابطاً)
- الرجل : إن هذا الدم لن يهدر
- ضابط يقول : اخرس!
- (امرأة عجوز تندفع وهند تحاول أن تمنعها، بينما صوت رصاص يستمر والرجل يسقط)

هو يا هند وحيدي ! قتلوه ! قتلوه !

ببيير : أين هم شجعانكم ؟ الفدائيون أين أخرجوهم ينفوني مثلما
نسفوا مركز البوليس في هذا الضحى !

المراة : لعنة الله على من جرّ هذا كله ، ثم اختفى !
(بيير من مكان قيادته في لهجة أمرة للضباط والجنود)

ببيير : هاتوها هنا (يشدونها ويُقبلون بها)
خاطبيهم ؛ الغنيهم ، والعني جاسر أيضاً
(رجل يندفع إليها)

الرجل : اسكتي يا نذير الشؤم يا أحقر الناس جميعاً
(يضربها بسكين)

(تطلق عليه رصاصة.. وكل الذين يسقطون تتدحرج جثثهم إلى
الدروب أو من المكان المرتفع في صدر المسرح بحيث تسقط غالباً
خارج المسرح)

عمار : (للرجال الذين يحاولون الاندفاع) الشجاع اليوم من يملك قلبه
والذي يحيا ليوم الانتقام
ما يزال الوقت ملكاً للذي يحسن التفكير فيه

رجل آخر : "لببيير" أشجاع أنت..؟ بارزني إذا وجهاً لوجه

(ينقض الرجل على بيير من أحد الدروب ولكنه يصاب
بالرصاص فيسقط في مدخل الدرب ويتدحرج خارج المسرح ،
يدخل بيير في أحد الدروب ووراءه بعض الضباط والجنود ،
وتسمع من حين إلى حين طلقة أو صرخة من بعيد)

رجل : في غد يأتي زمان الانتقام

(عمار ذاهل... وأحمد المصري مدمر وكذلك هند)

عمار : إنني أبصر من طوفان هاتيك الدماء

ذهب المستقبل الزاهي يضيء

هند : بدلاً من كل هاتيك الرؤوس الدامية

بدلاً من كل هاتيك الدماء الجارية

في غد، عندما يشرق فجر الأمن من رعب الظلام

تنبت الحنطة في كل الحقول الخاوية!

عمار : (مكملاً كأنه يحلم) ذهبيات السنابل حين يأتي الوقت

رجل : (في انفجار يائس) ومتى الوقت يجيء؟

أحمد : أترى من بعد هذا الهول في ليل من الرعب مخرج

بالدم الغالي سيأتي زمن نضحك فيه، أو سنبهج؟!

لا سلام الآن بعد إننا نحمل مسئولية القتل جميعاً!

كل عين لم تزل مفتوحة فوق التراب

كل أشلاء الضحايا يا صاحب كلها تلعننا.. تلعننا.. سيقول

الناس عنا قد جبننا.. قد جبننا

فانظروا كيف جبننا!

(ينقض مسرعاً على ضابط فيطعنه على مدخل أحد الدروب

ويختفي)

عمار : امنعوه... امنعوه

(رصاصة من الداخل وصرخة أحمد المصري)

عمار : قتلوه

هند : هو أيضاً قتلوه!

عمار : (في صوت فاجع) إيه يا من تخرجون الآن من جوف الليالي المرعبة
ومن الموج الرهيب لا تلومونا غداً فإذا جاء زمان أصبح
الإنسان فيه صاحب الإنسان حقاً فاذكروا أنه لولا ما عاناه الرجال
مثلنا لم ينجي هذا الزمان!

(المسرح يكاد يخلو والآخرون يتسللون من الدروب)

هند : ثم أنتم أيها الأطفال، يا من تولدون الآن من جوف الليالي
الفاجعة لتعيشوا في غداً خضرة الزيتون في شمس أمان ساطعه في
غدا... عندما يا صغاري تكبرون

لا تلومونا ولا تقسوا علينا

لا تقولوا: إننا في ذات يوم قد ضعفنا أو جبنًا

ما ضعفنا! ما ضعفنا! ما ضعفنا

إننا نمسك من أجلكم أعصابنا

إننا من أجلكم إننا من أجل أن نصنع مستقبلكم أنتم، وتاريخ
الليالي.. نخفي إننا لم نضعف لم نضعف

عمار : هند، لا تكبري أن تذرفي الدمع اذرفيه.. اذرفي

فالبكاء الآن أفضل إنه أولى بنا!

(ترتمي على كتفه باكية)

(جاسر في الداخل وجميلة واجمة)

جاسر : (في صراخ فاجع) لم أنت واجمة كذلك؟ اصرخي. لم تسكتين؟

أو لم ترى جثث الرجال ونبالة الإنسان تحقها النعال؟!

جميلة : (في انهيار بصوت شاحب غائر له رنين كاللأساة)
أسفاه!....

جاسر : لم تعد الحياة هي الحياة...

ستار

❖ ❖ ❖